

مراحل الدعوة النبوية: الصّحاح بالحق

أهداف الدرس

- 1 - أن أتعرف خصوصيات بداية مرحلة الجهر بالدعوة.
- 2 - أن أتبين مجهودات الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة.
- 3 - أن أتمثل صبر الرسول ﷺ وشجاعته في مواجهة صعوبات الجهر بالدعوة.

تمهيد

قضى النبي ﷺ ثلاث سنوات في الدعوة سرا، فأمن به من شاء الله من السابقين الأولين، واجتمعت حوله جماعة من المؤمنين والمؤمنات، فجاء أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالجهر بالدعوة.

فما هي أبرز سمات هذه المرحلة من الدعوة النبوية؟ وكيف تلقى كبار قريش خبر الدعوة النبوية؟ وما هي أهم الدروس والعبر التي يمكن الوقوف عليها في هذه الفترة؟

النص

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 213]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّافَا فَجَعَلَ يُنَادِي، يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ،

لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ. فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَزَلْتُ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② ﴿[المسد: 1 - 2]﴾.

[صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن: باب وأنذر عشيرتك الأقربين].

الفهم

الشرح:

الصَّفَا: هو الجبل الذي يبدأ منه السعي جنوب المسجد الحرام.
تَبَّتْ: خسرت.

استخلاص المضامين:

- 1 - أتعرف بداية مرحلة الجهر بالدعوة النبوية.
- 2 - أتبين موقف قريش من دعوة الحق.
- 3 - أستخلص أهم العبر من مرحلة الصدع بالحق.

التحليل

أولاً: الرسول ﷺ يجهر بالدعوة

استمر الرسول ﷺ في الدعوة سرا ثلاث سنوات، إلى أن أذن الله تعالى له بالجهر بها

لتنسج دائرة المستجيبين لنداء الحق، فأنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 213]. عندها بدأ ﷺ بعرض دعوته على عشيرته الأقربين امتثالاً لأمر ربه، يقول الخضري: «دعا (رسول الله) بني هاشم،... فحضرُوا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف... ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إنني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تتامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً. فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأَقْبَلْنَا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أنني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا». [نور اليقين ص: 67 - 68].

حاول الرسول ﷺ أن يبين لعشيرته الغاية العظمى لدعوته، وهي توحيد الله تعالى، والإيمان بالبعث والنشور، والحساب والجزاء الذي هو إما خلود في الجنة أو خلود في النار. لكنه لم يجد منهم استجابة تسر قلبه، وتدعم دعوته، فالأمر عظيم يتطلب منهم تحولا تاما عن مألوف العادات وراسخ المعتقدات الموروثة عن الآباء والأجداد. لكن تباينت مع ذلك مواقفهم، فاستكف منهم أبو طالب عن الاستجابة للدعوة وإن لم يتخل عن صاحبها، مبررا موقفه بكرأته مفارقة دين أسلافه. أما أبو لهب فلم يجد غضاضة في إبداء سخطه مما سمع، والتصريح بعدائه ومعارضته الشديدة للدعوة النبوية.

ثم انتقل الرسول ﷺ بعد ذلك إلى الصدع بالدعوة في قومه، فصعد جبل الصفا وأخذ ينادي بطون قريش بأسمائها، ويدعوهم قبيلة قبيلة، حتى إذا اجتمعوا قال: «يَا بَنِي كَعْبِ

بْنِ لُؤَيٍّ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ؛ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا» [صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: وأُنذِرَ عشيرتك الأقربين]. فنفرقوا وانفضوا من حوله دون رد جواب، سوى أبي لهب الذي قال له : « تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟»، فنزلت ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ ۝٢﴾ [المسد: 1 - 2] .

ثانيا: تحرك قريش لمواجهة دعوة النبي ﷺ

استخفت قريش في بداية الأمر بدعوة رسول الله ﷺ، فكان بعضهم يقول إذا مر عليهم الرسول ﷺ: «هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء! وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء». [نور اليقين للخضري ص: 33] يريدون بذلك تحقير النبي ﷺ والسخرية منه. وأبو كبشة كنية لزوج حليلة السعدية مرضعة النبي ﷺ.

لم يلتفت الرسول ﷺ إلى ذلك، وواصل دعوته يفضح معبودات قريش الباطلة، ويسفه عقول من يعبدونها. فنفروا منه وأظهروا له العداوة، «وقررُوا الذهابَ لعمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي كان قد أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه، فطلبوا منه أن يخلي بينهم وبينه أو يكفّه عما يقول، فردّهم ردّا جميلا فانصرفوا عنه» [نور اليقين للخضري ص: 34 بتصرف] .

عظم الأمر على أبي طالب، فكلم رسول الله ﷺ فقال: « يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني

من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته... فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً».

[الروض الأنف للسيهلي ج 3 ص: 46] .

ثالثاً: أهدي وأقتدي

من أهم قيم مرحلة الجهر بالدعوة التي يجب على المسلم أن يهتدي بها: الشجاعة والصبر والحلم والحكمة والثبات وعدم المداهنة في الحق.

التقويم

- 1 - أبين طريقة الرسول ﷺ في الجهر بالدعوة.
- 2 - أستنتج أهداف الدعوة النبوية من خلال حوار الرسول ﷺ مع عشيرته وقومه.

الاستثمار

«وَفَشَا الْإِسْلَامُ فِي مَكَّةَ بَيْنَ مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ. مَعَ أَنَّ الْإِعْلَامَ بِهِ كَانَ يَقَعُ فِي اسْتِخْفَاءٍ، وَدُونَ مُظَاهَرَةٍ مِنَ التَّحْمُسِ الْمَكْشُوفِ أَوْ التَّحْدِي السَّافِرِ... وَتَرَامَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ إِلَى قُرَيْشٍ فَلَمْ تُعْرِهَا إِهْتِمَامًا... وَاسْتَمَرَ هَذَا الطَّوْرُ السِّرِّيُّ لِلدَّعْوَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ... وَلَمَّا نَزَلَتْ

الآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 213]، صَعَدَ ﷺ عَلَى الصَّافَا فَجَعَلَ يُنَادِي (يَجْهَرُ
بِالدَّعْوَةِ)... (وَ) هَذِهِ الصَّيْحَةُ الْعَالِيَةُ هِيَ غَايَةُ الْبَلَاغِ». [فقه السيرة للغزالي ص: 100 - 101 بتصرف].

- 1 - أحدد من خلال النص مراحل الدعوة النبوية.
- 2 - أستخرج من النص ما يبين شجاعة الرسول ﷺ.
- 3 - أستنتج الغاية من تدرج الرسول ﷺ في الدعوة.

الإعداد القبلي

أقرأ في كتب السيرة النبوية ما يتعلق بـ:

- 1 - أساليب قریش في مجابهة الدعوة النبوية.
- 2 - إيذاء قریش للمسلمين.